رحيل سيدة الغناء العراقي مائدة نزهت..

أعلن أمس في عمان عن رحيل الفنانة العراقية الكبيرة المطربة مائدة نزهت عن عمر يناهز الـ75 عاما.
نزهت كانت ابرز المطربات العراقيات ، وامتازت بالاغاني الطربية الصعبة واثرت الساحة الغنائية العراقية بروائع لاتنسى .اذ اعلن عن رحيل الكبيرة مائدة نزهت أمس بعد رحيلها بيومين في العاصمة الاردنية عمان بعد انقطاع طويل عن الاعلام منذ اعتزالها الفن وارتدائها الحجاب في ثمانينيات القرن الماضي.ولدت مائدة جاسم محمد عزاوي في بغداد - الكرخ عام 1937 وهي واحدة من اربع بنات وولد واحد لأمهم وأبيهم وهم (حسنية، بدرية، سامية، مائدة ، خلف) . وكان والدها جاسم ضابطاً في الجيش العراقي ينتقل مع عائلته حسب مكان عمله من منطقة الى أخرى في بغداد.حفظت الأجزاء الأولى من القرآن الكريم عند الملاية (الكتاتيب) وهي لما تزل طفلة صغيرة، ثم دخلت مدرسة الرصافة الإبتدائية،وشاركت لأول مرة في الأناشيد المدرسية ،كان ذلك بداية اربعينيات القرن الماضي، وبسبب القيود الإجتماعية الصارمة حينذاك لم يكن لها بد من ممارسة هواياتها في الغناء ،لكن المتنفس الوحيد الذي في متناولها لإظهار حلاوة وعذوبة صوتها هو المناسبات الدينية والقبولات النسائية التي كانت تشارك فيها مع نساء منطقتها، وبسبب النظرة المنحطة المتخلفة للفن في ذلك الوقت ، فإنها لم تستطع دراسة الفن والموسيقى .

□بغداد / المدى

أظهرت إبداعاً مبكرا في أداء أغاني فريد الأطرش وأم كلثوم وأسمهان وفتحية أحمد وليلى مراد. عندما طلبت الأذاعة العراقية أصواتاً غنائية في مطلع الخمسينيات تقدمت مائدة الى الأختبار أمام لجنة من كبار المختصين بالغناء و المقام العراقي بتشجيع من منير بشير وخزعل مهدي. غنت للفنانة سليمة مراد وزكية جورج فنجحت بإقتدار، وأصبحت مطربة في الإذاعة.
أول من لحن لها هو الملحن ناظم نعيم أغنية تقول كلماتها
(الروح محتارة والدمع يتجاره،
والكلب عل محبوب ما تنطفي ناره.
لاجفن عيني غفه ولا لهب كلبي إنطفه ،
والواشي بيه إشتفه مني إخذ ثاره،
والكلب عل المحبوب ما تنطفي ناره)
لكن هذه الأغنية لم تنل حظها من الإنتشار ولم تثر إنتباه الجمهور الى هذا الصوت الجميل إذ كانت تجربتها الأولى ، لكن أغنية (أصيحن آه التوبة) التي لحنها أحمد الخليل رفعتها الى مصاف المطربات. في الإذاعة تعرفت على شاعري الأغنية سيف الدين ولائي ،وجودت التميمي، وقد شجع هذا النجاح أحمد الخليل فلحن لها (يلي تريدون الهوى، فد يوم أتمنى، كلب اليهواك،كالو حلو، همي وهم غيري، البصرة التي كتبت كلماتها فتاة دجلة..) لمع نجم الفنانةمائدة فتقاطر عليها الملحنون وكتاب الأغاني لما تملكه من صوت رائع ومساحة واسعة، فالى جانب الملحنين المذكورين لحن لها علاء كامل، رضا علي (حمد يحمود)، عباس جميل (كلما امر على الدرب، ياكاتم الأسرار)، خزعل مهدي، محمد نوشي وسمير بغدادي (أم الفستان الأحمر) ، أما أهم الشعراء الذين كتبوا كلمات أغانيها فهم شاكر حسن ، نعمت العبيدي ، هلال عاصم(دور بينا)وزهير الدجيلي (سنبل الديرة) لحنها ياسين الراوي ،ومحمد حسن الكرخي (كتب لها حرام) لحنها رضا علي ، وسألت عنك لفاروق هلال كما غنت (جاني من حسن مكتوب) في فلم الدكتور حسن.
وعندما فتحت أبواب التلفزيون العراقي عام ١٩٥٦ وهو أول محطة تلفزيون عربية ،كانت مائدة نزهت من أوائل المتقدمين للغناء والظهور من على شاشة التلفزيون. وبعد هذا النجاح الباهرإبتعدت مائدة عن الإذاعة في الفترة (١٩٥٥-١٩٥٧) بسبب مشاكل إدارية، لكن عادت بعد توسلات أحمد الخليل ووديع خندة (سمير بغدادي) الذي تزوجها لاحقاً بتاريخ ٨-٣-١٩٥٨. مع عودة مائدة الى الإذاعة بدأت مرحلة جديدة وجدية في هندسة مسيرتها الفنية، إذ بدأ نشاطها الفني يستقر بصورة تدريجية وجدية في هندسة مسيرتها الفنية على نتاج أفضل وأكثر إتزاناً وأحسن تهذيبا وأكثردقة وإنتظاما بفضل تعاون زوجها معها لحن لها وديع خندة (نسمات بلادي، عطر الفجر) ثم سافرا سوية الى الإتحاد السوفيتي، فالتقيا بكبار الفنانين الروس، وقاما بتوزيع جديد للأغاني، وقامت هي بتسجيل بعض من اغانيها على إسطوانات.
غنت على أنغام عود منير بشير أغنية (ينبعة الريحان)وهي من التراث العراقي القديم ثم لحن لها طالب القره غولي وغيرة من عمالقة الملحنين (بيا عين جيتو تشوفوني، شلون شلون، إنت إنت، قدك المياس،تجونة لو نجيكم، يم الفستان الأحمر شبيدي على اليحجون، أحبك لا، حاصودة، يناري، يا حافر البير)، ومن أشهر الأغاني التي لحنها كوكب حمزة هي (همه ثلاثة للمدارس يروحون) من إيقاع الهيوة. كما غنت (إسألوه لا تسألوني إسألوه، مزعلت منه علي زعلوه) التي لحنها رضا علي ويبدو إنها كانت رسالة عتاب لزوجها.
ولحن لها علاء كامل (دور بينا يا عشك) من كلمات هلال عاصم ، وغير ذلك كثير ومن الألحان الكويتية غنت(كفاية ما وصل منك) كما غنت مربع أحباب كلبي، وأبوذيات وعتابات وسويحليات، وبستات مثل يابو عباية جاسبي، بمحاسنك وبهاك، وكتب لها الشاعر حسين علي (دجلة وفرات)، إن زواجها من وديع خندة (سمير بغدادي)مهد لها السبيل للتقدم والتطور معاًفاشا ثنائياًمتكاملاً، وأنجبا وتفرغا للحياة. ترعرعت مائدة في بيئة فنية، لها صوت متميز عريض عرفت به منذ الطفولة. غنت في أشهر الملاهي والنوادي الليلية (ضمن ذلك الإذاعة العراقية١٩٥٢)، وعرفت أيضاً بمطاولتها وإجادتها للغناء الريفي ، فغنت الهجع وهو وزن ريفي راقص تشتهر به المطربات الغجريات.
سجل التلفزيون الكثير من أغانيها وذلك بعد إستيراد أجهزة التسجيل. إن صوت مائدة نزهت نقل الأغنية العراقية من التقليد الى التجديد وفكان صوتاً يتوقد عاطفة وإحساساً، زاخر بالحيوية، كما أنها كانت تختار نصوص أغانيها، فهي تصر على الخصوصية العراقية.
شاركت في العديد من الحفلات في الكويت،وسجل لها التلفزيون الكويتي عدة اغاني ولقاءات فنية. كما تعاونت مع عدد من أشهر الملحنين على الساحة الغنائية. ولعل أشهر أغنية قدمتها هي أغنية (داير مدارج بحر) تغنت فيها لجزيرة فليكا، وغنت لبعض الأصوات العربية (ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد، لقد زادني مسراك وجد على وجد) وهي من كلمات عبد الله ابن الدمينة، والحان أحمد الزنجباري.
أحدثت مائدة إنعطافاًجديداً ومهماً في مسيرة لأغنية العراقية حيث نقلتها من عالمها الحزين الى مزاج الحداثة، فأحدث إنقلاباً وتبدلاً في طبقة الفن العراقي.
إن السامع يحس في صوت مائدة نزهة نبرة بالغة الرقي والتهذيب والدقة ،نابعة من إنوثة الصوت الطاغية والحنان الشفاف في طاقة هذا الصوت،بقوة وزخم متميز ، فلم يبق صوتها حكر على الحان زوجها وديع خندة.
تتميز فنانتنا بالدقة والحرص على فنها حتى إنه بدى غريباًعلى من زاملها ، فهي دؤوبة على الحضور والإلتزام بمواعيد التمارين اليومية ضمن الدوام المستمر في فرقة التراث الموسيقي العراقي التي أسسها منير بشير أوائل السبعينات من القرن الماضي. وكانت مدركة لأهمية هذه التمارين نظراً لخبرتها الطويلة في الغناء. عبرت في غناءها عن روح المدينة، فهي حلقة حية في سلسلة الغناء البغدادي فكانت تصر على تعابيرها البغدادية، فقد قدم لها الملحن طالب القرةغولي (لايا هوى) وأغنية (جذاب) فغنتها (كذاب) وكانت مصرة على ذلك رغم إعتراض الشاعر والملحن، فغناها الملحن على عوده المنفرد وأبدع في ذلك أيما إبداع. ولقدكانت حريصة على الأغنية الحديثة المعبرة وعلى الجانب الفكري والحضاري للأغنية الحديثة والإعتبارات البنائية المتماسكة في كل الحان اغانيها التي إعتمدت، فيها على كثير من الملحنين، فأدتها بإتقان زاخر بالفن، فهي مطربة الأغنية العراقية الحديثة. في فرقة التراث الموسيقي العراقي كان العود والناي والقانون والإيقاع هي الات الفرقة، وكانت مائدة نزهت قد أدت المقامات العراقية بصوت وأداء رائع بعد أن أشرف على تدريبها مطرب المقامات العراقي حسين الأعظمي، وبذلك فهي أول المؤديات اللواتي أدين المقام بأصوله، وبدقة كاملة وبعراقته ومضامينه التعبيرية، فحملت التراث العراقي الرائع تجوب به العالم مشاركة في المهرجانات الفنية الدولية، وبنجاح منقطع النظير.
نجحت الى أبعد حدود النجاح بأدائها. وقد غنت مقام الحويزاوي باسلوب مغاير لما إشتهر به محمد القبانجي حين غنى (لما أناخوا قبيل الصبح عيسهم وحملوها وسارت بالهوى الإبل، ياحادي العيس عرج كي أودعهم، ياحادي العيس في ترحالك الأجل) لكن مائدة نزهت غنته بقصيدة حافظ جميل وباسلوب متميز. (ومن جوى ألم في النفس نخفيه.. وأعظم بلواك من هم تعانيه). غنت الحويزاوي بدقة وحسب الأصول التقليدية للمسارات اللحنية التراثية، لكن المطرب يوسف عمر لم يكن مقتنعاً بالأداء النسائي للمقام، فهو يعتبره غناءَ ذكورياً على الرغم من أن أداء مائدة كان باسلوب وتعبير عصريين ساعدها في ذلك تجربتها العميقة في الغناء عامة، بالإضافة الى تعلمها غناءالمقامات الفرعية التي مكنتها من تادية أروع وأصعب المقامات باسلوب علمي. غنت مقام حكيمي بأداء رائع، و للشاعر عبد المجيد الملا غنت الحويزاوي وكالتالي:-
يامن هواه أعزه وأذلني
كيف الوصول الى وصالك دلني
واصلتني حتى ملكت حشاشتي
ورجعت من بعد الوصال هجرتني
الهجرمن بعد الوصال خطيئة
ياليت قبل الوصول قد أعلمتني
غنت مائدة نزهت للزعيم الخالد عبد الكريم قاسم بمناسبة سلامته من الإعتداء عليه ومحاولة إغتياله في منطقة رأس القرية بشارع الرشيد، اغنية (الحمدلله عل سلامة..قائدنه ترف اعلامه..اقوى من رصاص العدوان..خاب الظالم واحلامه).
إن قدرة مائدة العالية على تأدية مختلف الألحان وبضمنها المقامات جعلها في مصاف المطربين والفنانين الرائعين الكبار، وكان يمكنها أن تضاعف من إبداعها لو إستمرت في الغناء، لكنها فجأة قررت إعتزال الغناء في النصف الثاني من ثمانينات القرن الماضي وبدون تراجع، وبذلك فقد الوسط الفني صوتاً قديراً جميلاً حمل التراث الغنائي سواء في العراق او خارجه، إذاعة وتلفزيونا ومهرجانات.. ولأنها حفظت القرآن، وهي طفلة صغيرة، فقد إنصرفت الى العبادة ثم حجت وكرست باقي حياتها للعبادة والتقوى. حاولت سحب تسجيلاتها من الإذاعة والتلفزيون لكن محاولاتها باءت بالفشل والرفض. سافرت الى عمان مع إبنتها

في لقاء لم ينشر

مائدة نزهت: بدأت بغناء الموشحات الدينية

□ كمال لطيف سالم

كان الزمن عام ١٩٧٧ وعلى قاعة المسرح القومي في كرادة مريم تمكنت من الصعود من خلف الكواليس والتقاء الفنانة الكبيرة مائدة نزهت. كانت تجلس على الكرسي بانتظار تقديم وصلتها الغنائية، على خشبة المسرح وصفق لها الجمهور بحرارة فبدأت بتحرير بعض المقامات ثم صدحت بعد ذلك بأغانيها القديمة.
كان الوقت يمر سريعاً لانني كنت في نشوة الطرب. التفتت الي بعد ذلك قائلة:
×ماذا تريد ان اقول؟
-أنت مطربة كبيرة ولابد ان لك حكاية مع الفن سحبت نفسا عميقا وقالت: انه طريق قطعناه بالاشواك والعذابات فأنه أمر فيه مرارة الا تتفق معي:
هززت رأسي وقلت مشجعا اياها:
.الفنان لاتصنعه الا العذابات وهي تجربة مربها كبار الفنانين؟
هنا استعادت بعضاً من غصة الالم وقالت:
.كل فنان وكل فتى يحب سماع الغناء وتقليده، وهكذا كان الامر معي اسمع اغاني ام كلثوم ،اسمهان، فتحية احمد، كذلك كبار المطربين. وكنت اردد هذه الاغاني مع نفسي حتى وجدت انني قادرة على الغناء فأخذت اول الامر اشارك في المناسبات الدينية التي تقيمها النساء في المحلة في تحول ذلك الى النشاط المدرسي وهكذا عرفت بحسن صوتي واستمر الامر كذلك حتى بداية الخمسينيات عندما طلبت الاذاعة اصواتاً نسوية فوقفت امام لجنة الاختبار وكان بينهم كبار المختصين بالغناء والمقام العراقي فقدمت بعض الاغاني العراقية للفنانة سليمة مراد وزكية جورج وقد نجحت في الاختبار واصبحت مطربة في الاذاعة.
.ضمتت قليلا لتحاول استرجاع ذاكرتها الفنية ثم قالت: في الاذاعة تعرفت على مشاهير المغنين والمغنيات وتعرفت على شعراء الاغنية والملحنين امثال سيف الدين ولائي العلاف ،جودت التميمي وعلى الملحنين امثال ناظم نعيم واحمد الخليل فقدمت في ذلك الوقت اغنية.توبه. التي اعجب بها الجمهور بعدها قدمت أغنية .حرام. كلمات محمد حسن الكرخي الحان الفنان رضا علي كما غنيت من كلمات خزعل مهدي اغنية .حمد ياحمود. الحان رضا علي ايضا كما كتب لي الشاعر سعدي وحيد ولحن لي محمد نوشي اغنية حبي وحبك من الحان الموسيقار جميل سليم وكلمات الشاعر حسن نعمة العبيدي غنيت. كلهم يكولون.
.عادت الى التأمل مرة اخرى ثم استطردت قائلة: .
× اذكر ان الشاعر هلال عاصم كتب لي كلمات اغنية ((دور بينه يا عشك دويره)) ولحنها المرحوم علاء كامل كما كتب لي الشاعر زهير الدجيلي اغنية ((سنبل الديرة)) الحان ياسين الراوي بعدها توالت الاغاني ((كلما امر علي الدرب)) ((الاسمر كما لحنت لحنا كويتيا للفنان محمد الكويتي بعنوان ((كفاني ما وصل منك))
.لماذا كل هذا التنوع في الالوان الغنائية؟
× بعضها كنت اختارها وبعضها كنت اغنيها مجاملة فمثلا غنيت مربع احباب كلبي. وبعض الابوذيات والعتابات والسويحليات. ولو عدت الى المكتبة لوجدت فيها كل شيء من الاغاني المختلفة.
.وماذا عن المقام العراقي وموقف المرأة منه؟
× في الاذاعة شاهدت رشيد القندرجي ومجيد رشيد ويوسف عمر وهؤلاء شجعوني على غناء بعض المقامات التي تلائم الطبقة النسوية ولكن الراحل يوسف عمر كان يصر على ان المرأة لايمكن ان تؤدي المقام وقد تحديته بحب عندما كنانغني من خلال رحلاتنا الى الخارج فغنيت امام الجمهور مقام القطر والحويزاوي والشرقي رست والبهزاوي والمحمودي وكان الجمهور يصفق لي بينما يوسف عمر يلتزم الصمت.
- وماذا بعد التراث الغنائي!
البستة البغدادية كانت عنصراً اساسياً للمقام العراقي وقد اديت بعضها ان لم يكن اكثرها منها"يابو عباية الجاسبي" ((بمحاسنك وبهاك)) حتى اني اديت بعض الاغاني السياحية فقد كتب لي الشاعر حسين علي اغنية - دجلة والفرات- واغنية الليلة حنتهم-.
× وماذا عن الحان وديع خونده ورحلته معك؟
- كان يطلق عليه انذاك سمير بغدادي لقد تعاون معي هذا الفنان وقدم لي العديد من الالحان ابرزها ((نسمات بلادي، عطر الفجر)) وقد صادف ذلك الوقت افتتاح التلفزيون لاول مرة وكانت ثمارهذا التعاون ان تعاقدنا على الزواج وسافرنا الى الاتحاد السوفيتي وهناك قام بتوزيع جديد للاغنية من قبل كبار الموسيقيين الروس وقد سجلت في حينها على اسطوانة.
× وماذا بعد ذلك؟
- لقد اعطينا اكثر مما ينبغي ولم نترك لونا غنائيا الا واديناه وخضنا تجربة مع المقام العراقي وجبنا مع فرقة الفنون الشعبية عواصم العالم نقدم روائع الغناء والفن العراقي الاصيل الذي لا مثيل له في العالم وكان النجاح حليفنا اينما حللنا واعتقد انني وفيت بوعدي واعطيت ما عندي من غناء وسيبقى ارثا للاجيال تدرسه وتغنيه واتمنى للعنصر النسوي ان لا يتخلى عن هذا الفن الجميل رغم المصاعب والمعوقات فكلها تهون امام عطاء الفنان الاصيل.

حين احتفلت (المدى) بالفنانة مائدة نزهت

□ طارق حرب

يوم ٢٠١٢/٣/١٦ كان هنالك احتفال في بيت المدى بشارع المتنبي بالفنانة الرائدة والقديرة التي اطربتنا لسنوات وادخلت في نفوسنا الامل والفرح والسرور الفنانة الكبيرة مائدة نزهت اذا كان الاحتفال قد خلا من تواجد هذه المبدعة المتالقة فان مجرد تذكرها وترديد شيء من اغانيها لهو شيء عظيم يوازي عظمة هذه الفنانة العظيمة التي تركت ابداعها على الشعب باجمعه خاصة نحن الذين عاصرنا اداء هذه الفنانة الكريمة وخاصة كاتب هذه الكلمات اذ مازلت اتذكر اتصالها الهاتفي المتكرر بالزعيم الراحل عبد الكريم قاسم عندما كنت عسكريا في بدالة وزارة الدفاع ابان تلك الفترة اذ يتم الاتصال بالبدالة والطلب من البدالة تحويل المكالمة الى المرحوم عبد الكريم قاسم وكنا نحن العاملون في البدالة نسترق السمع عن مكالمات السيدة مائدة نزهت وكنا نعلم بما يدور من كلمات وعبارات بين الزعيم ومائدة نزهت تلك الفنانة التي اعجبت ايما اعجاب ولا اقول حبت وعشقت ايما حب وعشق للزعيم الراحل لا بل ان مسؤول البدالة كان يتصل بالزعيم بعد انتهاء المكالمة ليطلب منه العشاء لنا حيث يستجيب الزعيم لطلبه ويقول له ارسل احدكم الى مطعم شريف وحداد وهو مطعم صاحب الزعيم وكان يجمع طلبات الزعيم خلال شهر ويطالبه نهاية الشهر بدفع مبالغ هذه الطلبات لاسيما وان راتب الزعيم يتم انفاقه في الايام الاولى من الشهر وتبقى طلبات الزعيم من صاحب المطعم (دين) اي يتولى تسجيل الطلبات كدين عليه يتولى دفعه بعد استلامه الراتب الشهري ورحمة للزعيم ولصاحب المطعم الذي كان لا يعطينا الطعام الا بعد اتصال الزعيم معه وموافقته على تسجيل قيمة الطعام كدين في ذمته. لقد كانت مائدة نزهت مثالا للطرب العراقي الاصيل وانموذجا للغناء الشعبي الجميل فلقد ظهرت الكثير من المطربات العراقيات من منيره الهوزوز وصديقة الملاية الى عفيفة اسكندر واحلام وهبي وهيفاء حسين وغيرهن من المطربات الشهيرات العظيمات ولكن ايًا منهن لا تصل الى مستوى مائدة نزهت وزهور حسين ولكن مائدة نزهت تفوقت على زهور حسين باجادتها للمقام العراقي اذ لم تظهر مطربة عراقية تحسن اداء المقام العراقي نحو ما اجادته واحسنته فنانة العراق ومطربته مائدة نزهت واذا كان اداؤها محدودا في بداية ظهورها ولسنين عدة فان اداءها في نهاية سبعينيات القرن الماضي وما تلاه بلغ القمة في الاداء ووصلت التمام والكمال في الغناء النسوي العراقي بحيث لم تسبقها سابقة ولن تلحقها لاحقة فلقد كانت فريدة عصرها ووحيدة اقرانها واغانيها كثيرة ولكن تبقى اغنية للناصرية الاجمل والانبل والاكمل والافضل في ادائها اذ على الرغم من ان هذه الاغنية غناها واداها الكثير من الفنانين ومن ادى المقام فان المقام الذي يسبق هذه الاغنية والاغنية التي تلي المقام لا يمكن ان توصف ولا اكون كاذبا اذا قلت ان هذه الاغنية جعلتنا نحب الناصرية ونحب مضيف الشيخ ابو حمود الذي قصدته في اغنيتها ليساعدها ويقدم لها العون مع حبيبها وسلاما على مائدة نزهت والشيخ والحبيب والسؤال هو هل يمكن ان تكون هنالك من تغني ما ابدعته مائدة نزهت اذ ينطبق عليها قول الشاعر:

هيهات أن ياتي الزمان بمثله
إن الزمان بمثله لبخيل

نعم فالزمان شحيح وبخيل في مثل اخر لهذه الفنانة لابل ان الزمان حكم علينا فيمن يَدّعين الغناء ويُدْعَىَ بالفنانات وهن الاكثر بعداً عن الغناء والفن وبارك الله بفنانة ادخلت البهجة والمرح والتفاؤل في انفسنا وعقولنا وقلوبنا فنانة لا يمكن ان تكون نحلا للنسيان منا نحن عشاق مائدة نزهت ومحبوها وطالبوها ومريدوها وان الاحتفال والاحتفاء بها قليل واقل القليل